

الفصل الأول: فصل تمهيدي

أولاً: طرح الإشكالية

ثانياً: أسباب إختيار الموضوع

ثالثاً: أهمية الدراسة و الهدف

منها

رابعاً: تحديد مفاهيم الدراسة

خامساً: المدخل المنهجي للدراسة

سادساً: الدراسات السابقة

أولاً: طرح الإشكالية:

من بين القضايا التي تشهد اهتماما كبيرا و تشغل حيزا مهما في الدراسات السوسولوجية نجد قضية الفقر و ما يترتب عنها من إنعكاسات على مختلف أوجه الحياة الاجتماعية، الثقافية و السياسية، نظرا لما عرفته من إنتشار واسع على المستوى العالمي مما دعى البعض إلى اعتبارها الوجه الآخر للعولمة* و تحديدا الوجه القائم لها و الذي تجب مواجهته.

فالمسجل أن هناك عولمة لإنتاج السلع و سعيا لتحقيق مزيد من النمو و التطور في مختلف المجالات. لكن بالمقابل هناك عملية لإعادة إنتاج الفقر و الثروة و هو ما ترتب عنه تضاعف الحرمان في كثير من مناطق العالم¹، أين ظهرت فوارق طبقية متفاوتة ليس بين الدول فحسب بل حتى داخلها، إلى درجة اعتبرت فيها نهاية القرن العشرين بداية إفقار عالمي** ناجم في الأساس عن التحولات الاقتصادية و السياسية ذات التوجه الليبرالي الأمريكي. حيث تميزت تلك الفترة بانهيار النظم الإنتاجية في العالم النامي، و تصفية المؤسسات الوطنية، و تراجع البرامج الصحية و التعليمية، تزامنا مع تفاقم أزمة المديونية و تدخل المنظمات الدولية كالبنك الدولي في فرض الشروط و رسم السياسات لمختلف الدول، التي كانت تعاني من تلك المشاكل، و التي من بينها الجزائر. حيث أصبح ملايين الجزائريين يعانون الفقر، خاصة منذ بداية التسعينات بسبب الأزمات الاقتصادية الخانقة التي عرفتها البلاد، و التي أخذت انعكاساتها السلبية تظهر على التركيبة الاجتماعية و خاصة الفئات الضعيفة، التي ازدادت أوضاعها ترديا في ظل التحول المفاجئ و السريع من نمط اقتصادي اشتراكي إلى نمط اقتصادي ليبرالي، تحكمه قواعد السوق و يضبطه قانون المنافسة و في ظل وجود نمط إنتاجي ضعيف أحدث إنخفاضا كبيرا في مستوى معيشة المواطنين.

و قد دلت الإحصائيات الرسمية على وجود 14 مليون جزائري في حاجة إلى مساعدة اجتماعية حسب المقاييس الرسمية، بعد أن تم رفع الدعم عن المواد الأساسية في شهر أفريل من

* علي غربي. عولمة الفقير. مجلة الباحث الاجتماعي. مجلة شهرية. جامعة منتوري. قسنطينة. الجزائر. العدد الثالث. سبتمبر 2001. ص، 88.

¹ محي محمد مسعد. ظاهرة العولمة: الأوهام و الحقائق. مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية. (د.ت). ص، 78.

** ميشيل تشوسودوفيسكي. عولمة الفقر. ترجمة: محمد مستجير مصطفى. ط. 2. مطابع أنترناشيونال. الولايات المتحدة الأمريكية. 2000. ص، 306.

عام 1992، تحت ضغط سياسة صندوق النقد الدولي. و من بين الملايين الأربعة عشر يعاني أربعة ملايين و نصف المليون من انعدام الدخل، كما تتحدث الإحصائيات الرسمية ذاتها عن وجود فروق اقتصادية و اجتماعية كبيرة يعرفها المجتمع الجزائري تتراوح بين 1 و 12 من حيث مقاييس الاستهلاك الفردي السنوي؛ و قد قدر دخل أفقر الفئات بـ 2421 ديناراً جزائرياً. في حين وصل دخل أغنى 10% من الجزائريين إلى 29 ألف ديناراً جزائرياً¹. و تدل هذه المؤشرات الخاصة باللامساواة الاجتماعية الواسعة التي آلت إليها الوضعية في الجزائر على أن ضريبة إصلاح الاقتصاد الوطني و متاعبه الثقيلة لا يتحملها إلا البسطاء من هذا الشعب، إذ سجل تدهور كبير في الحالة المعيشية لنسبة كبيرة من الأسر الجزائرية التي عانت من ظروف صعبة صنعها العوز و الغلاء الفاحش في المصاريف اليومية الأمر الذي جعل تلك الأسر غير بعيدة عن الأخطار و الآفات الاجتماعية المختلفة مثل ظاهرة الانحراف لدى الأحداث و التي انتشرت على نطاق واسع خاصة في السنوات الأخيرة أين أصبحت تشكل خطراً يهدد ليس فقط الأحداث أو أسرهم بل كل المجتمع نظراً لنتائجها الخطيرة حاضراً و مستقبلاً إنطلاقاً من أن حدث اليوم هو رجل الغد و بالتالي منحرف اليوم هو مجرم الغد إن لم يتم تدارك الأمر و بحكم صغر سنهم يتحمل المجتمع كله مسؤولية إنحرفهم ففترة الحداثة-طفولة و مراهقة- تتميز بخصوصيتها و كذا متطلباتها البيولوجية و النفسية و الاجتماعية، حيث تعتبر تلك الفترة بنياناً هشاً يتطلب عناية فائقة تضمن له النماء و التكامل بصورة إيجابية و متوازنة. و قد يؤثر نقص الاهتمام بدعامة من دعاماته في تماسكه و توازن وظائف وحداته، لهذا فإن تقويض المقومات الأساسية التي ينبغي للحدث أن يتمتع بها في سبيل نمائه السوي من شأنه أن يقوده إلى الوقوع فريسة للاضطرابات النفسية و الاجتماعية التي قد تؤدي به إلى الانحراف. و انطلاقاً من هنا تربط بعض الدراسات السوسولوجية بين الفقر و انحراف الأحداث، على اعتبار أن الفقر يشكل أوضح مثال عن الحرمان من مختلف الضروريات حيث يعاني الفقراء من نقص في المال، في التعليم وفي المكانة... إلخ، تتعكس سلبيات الأحداث كونهم أكثر من يتأثر بالفقر و أكثر من يحمل بصماته بوضوح².

¹ عبد الباسط دردور. العنف السياسي في الجزائر و أزمة التحول الديمقراطي. دار الأمين للنشر و التوزيع. القاهرة. 1996. ص، 63.

² سامية مصطفى الخشاب. النظرية الاجتماعية و دراسة الأسرة. دار المعارف. مصر 1982. ص، 130.

و مدينة بسكرة هي واحدة من المدن الجزائرية التي لم تكن بمنأى عن مختلف انعكاسات الأوضاع المتأزمة اقتصاديا و سياسيا و اجتماعيا. حيث مستها التغييرات الهيكلية على مستوى الكثير من مؤسساتها الاقتصادية، و تم حل و خصخصة الكثير منها، و قد صاحب ذلك تسريح آلاف العمال لينضموا إلى قائمة البطالين و بالتالي إلى قائمة الفقراء و من هم بحاجة إلى المساعدة. خاصة في ظل انخفاض القدرة الشرائية بسبب ارتفاع الأسعار، و قلة المداخيل أو انعدامها في بعض الأحيان، إضافة إلى ظاهرة انحراف الأحداث التي أخذت في الانتشار بشكل ملفت للانتباه سواء على مستوى الكم أو الكيف و هذا ما أثبتته الإحصائيات الرسمية المقدمة من طرف الجهات المختصة بالمدينة كمحكمة بسكرة و مكتب الإدماج الاجتماعي خاصة في بعض الأحياء الفقيرة التي أصبح اسمها مرتبطا بالانحراف - "كحي العالية الشمالية" الذي اختير ليكون ميدانا لهذا البحث- حيث سجل ارتفاع في عدد الانحرافات من عام لآخر، و تنوعا بين الإنحرافات، البسيطة و الجسيمة، مع تسجيل ارتفاع خاصة في عدد السرقات مما جعل بعض المختصين يربطون ما يقوم به الأحداث من انحرافات و بين الفقر الذي يعيشونه.

و من هنا جاء هذا البحث ليتناول بالدراسة تلك العلاقة الوظيفية بين الفقر و انحراف الأحداث و تحديدا كيف يؤثر الفقر على الأحداث و يؤدي إلى انحرافهم، و لهذا فإن الإشكالية الرئيسية لهذا البحث تتمثل في محاولة الوقوف على الدور الحقيقي للفقر في انحراف الأحداث و بتحديد أكبر، كيف يساهم الفقر في انحراف الأحداث؟

ثانيا: أسباب إختيار الموضوع

من بين أهم الأسباب التي دفعت لإختيار موضوع الفقر و إنحراف الأحداث يمكن ذكر:

- أنه موضوع يرتبط بفئة هامة من فئات المجتمع و التي ستشكل عماده (جاله و نساءه في الغد) خاصة في ظل ارتفاع نسبة الإنحراف لديها، وفق ما تشير إليه الإحصائيات المقدمة من طرف المجلس الوطني الاجتماعي و الإقتصادي و كذا محكمة بسكرة. و هو ما يشكل خطرا على المجتمع ككل، الأمر الذي يستدعي ضرورة البحث في أسبابه و دوافعه الحقيقية.

- الخطورة الكبيرة التي تمثلها ظاهرة الفقر و التي عرفت إنتشارا واسعا جعلها محور إهتمام كبير، و موضوعا لكثير من الإجتماعات و الندوات و المؤتمرات العالمية خاصة مع بداية

الألفية الثالثة.

- ضرورة البحث المستمر في مختلف أبعاد الظاهرة محل الدراسة، مع التركيز على التغيرات الحاصلة في الوقت الراهن، من أجل إلقاء الضوء عليها و الوصول إلى تشخيص حقائقها في المجتمع الجزائري، للتمكن بعد ذلك من وضع حلول وقائية و أخرى علاجية لها.

ثالثا: أهمية الدراسة و الهدف منها:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع ذاته، كونه يعنى بدراسة ظاهرة على قدر كبير من الأهمية، و هي ظاهرة الفقر و تحديدا في علاقتها الوظيفية بانحراف الأحداث، في وقت أصبح فيه الفقر - و أكثر من أي وقت مضى - سمة من أهم سمات العصر نظرا للإنتشار الواسع له و في كل أنحاء العالم دون إستثناء.

كما تكمن أهمية الدراسة أيضا في طبيعة الفئة محل البحث، و التي تتمثل في الأحداث المنحرفين، و هي فئة آخذة في الإتساع حسب الجهات المختصة، وهي بهذا تستحق الإهتمام و التناول بالدراسة، و من هنا جاءت هذه الدراسة محاولة الوصول إلى فهم حقيقي للظاهرة (إنحراف الأحداث و كيف يساهم الفقر فيها) من مختلف أبعادها بالتعرف على أهم الظروف المصاحبة للفقر، و التي يعيش في ظلها الأحداث الفقراء، و كيف تساهم في تكوين الاستعداد للانحراف لديهم.

رابعا: مفاهيم الدراسة:

إن تحديد مفاهيم أي دراسة أو بحث علمي يعد أمرا غاية في الأهمية، خاصة في البحث علم الإجتماعي الذي تستمد مفاهيمه من واقع الحياة. و كلما تم تحديدها بصورة دقيقة و بوضوح كلما كان في ذلك تسهيل لإدراك المعاني و الأفكار التي يقصدها الباحث في بحثه، و بالتالي لا يبقى مجال للاختلاف بين القارئين له في فهم ما يريد إيصاله لهم، و تتمثل المفاهيم الرئيسة في هذا البحث فيما يلي:

الفقر: وهو الحرمان الناجم عن عدم كفاية الدخل لإشباع الحاجات الأساسية للوجود المادي و الإجتماعي للحدث كالغذاء و اللباس، الصحة، التعليم و السكن في ظروف جيدة، و تحقيق الاستقرار الأسري.

الحرمان: هو العجز في الوصول إلى شيء نحتاج إليه.

الحاجات الأساسية: وهي الحاجات الضرورية للوجود الإنساني: المادي و الاجتماعي. فالمادي يتمثل في الحاجات المادية كالحاجة إلى الطعام و الشراب و الملابس و السكن و الصحة. أما الاجتماعي فيرتبط بالحاجات الاجتماعية الضرورية للحدث كالأستقرار الأسري و التفهم داخل الأسرة... إلخ.

الحدث: هو الصغير الذي يتراوح سنه بين السابعة و الثامنة عشر.

الانحراف: هو الخروج عن القيم و المعايير التي يضعها المجتمع للحفاظ على أمنه و استقراره. و يتخذ الانحراف صوراً عديدة منها: السرقة، تناول المخدرات، شرب الخمر، الانحراف الجنسي، الضرب و الجرح.

الظروف السكنية السيئة: أي السكن في ظروف غير صحية، و غير مناسبة لحياة الحدث، سواء من حيث طبيعة المسكن في حد ذاته (مادة بنائه، عدد غرفه، تأثيره... إلخ)، أو من حيث طبيعة الحي السكني الذي يغلب عليه طابع الفقر و الضيق.

التفكك الأسري: و يعني نوعاً من المشاكل و الصراعات و عدم التوافق بين أعضاء الأسرة الواحدة، من خلال اضطراب العلاقة بين الوالدين أو بين الوالدين و الأبناء، و ذلك بسبب فشل عضو أو أكثر من أعضاء الأسرة في القيام بالتزامات دورهم بسبب عجز الأسرة في أداء وظائفها خاصة الاقتصادية منها.

خامساً: المدخل المنهجي للدراسة:

يستخدم المدخل المنهجي في أي دراسة لتفادي القصور الذي يحدث بفعل الاكتفاء بدراسة الظاهرة ووصفها وتحليلها و تعليلها و استخلاص نتائجها. فالبحث السوسولوجي على وجه الخصوص، يحتاج أكثر إلى نسق فكري متكامل منسجم و منطقي. وهو ما يشار إليه بالمدخل أو **الإطار المنهجي**¹. إذ يعتبر بمثابة تصور عقلي يكشف عن الارتباطات القائمة بين جوانب موضوع الدراسة و أبعاده، و الكيفية التي تعمل بها تلك الصلات و الارتباطات².

و في هذه الدراسة و بحكم انطلاقها من الرغبة في دراسة علاقة الفقر بانحراف الأحداث، فقد كان المدخل **البنائي الوظيفي** ملائماً لها، خاصة من خلال آراء: روبرت ميرتون و الحديث

¹ رشيد زرواتي. تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. مطبعة دار هومة. الجزائر. 2002. ص، 90.

² السيد علي شتا. نظرية علم الاجتماع. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية. 1993. ص، 405.

عن البنائية الوظيفية كمدخل منهجي¹ للدراسة في العلوم الاجتماعية يعني تناول العلاقات دون الأشياء، والاهتمام بدراسة العلاقات و الروابط الموضوعية القائمة بين الأجزاء، فهي بمثابة تحليل للبناء الإنساني أو الاجتماعي، و كشف العلاقات الموضوعية التي تربط شتى أجزاء هذا البناء ببعضها.

وقد تطور المدخل البنائي لشرح المشكلات الاجتماعية بطريقة كبيرة في أعمال: روبرت ميرتون الخاصة بفكرة اللامعيارية **Anomie** و التي استخدمت لأول مرة من طرف إيميل دوركايم و تعني حالة ضياع القيم لدى الأفراد، وقد أكد ميرتون أن سبب الانحراف إنما يعود إلى عدم توافق أهداف المجتمع مع الوسائل المتاحة للأفراد لتحقيق تلك الأهداف. وقد استخدم مفهوم الأنومي² مؤكدا على أنه متغير مستقل و الانحراف متغير تابع له، فإذا ما توافرت مرحلة الأنومي في أي مجتمع حدث الانحراف. و يرى ميرتون أن أكثر الطبقات التي تدفع إلى هذا الانحراف هي الطبقات الفقيرة التي ترى الأهداف، و لكن تفتقد الوسائل التي تساعد على تحقيقها.

وقد أوضح أن حالة البناء الاجتماعي تتحكم بفاعلية في تحديد أنماط التكيف السلوكي المختلفة للأفراد، وهو بذلك إنما أراد التأكيد على أن الحالة البنائية هي السبب الحقيقي للانحراف الاجتماعي، معتبرا الأبنية ليست أشياء و إنما هي بمثابة طرق مقننة للفعل و إنجاز الأهداف، و منه فالبنية الاجتماعية هي التي تدفع الأفراد نحو السلوك المتكيف أو المنحرف، و لفهم البنية الاجتماعية لأي مجتمع يحدد ميرتون عنصرين أساسيين هما: الأهداف و المعايير³.

أ-الأهداف: و هو يرى بأن كل مجتمع له أهدافه و اهتماماته الخاصة به، و التي تتحدد عبر المراحل التاريخية التي يمر بها ذلك المجتمع، لتصبح بمثابة إرث حضاري، و بها تكتسب آمال أفراد المجتمع شرعيتها، و تترتب حسب الأهمية في سلم قيمه* الاجتماعية.

¹ المرجع السابق، ص، 306.

² سلوى عيد الحميد الخطيب. نظرة في علم الاجتماع المعاصر. ط. 2. مطبعة النيل. القاهرة. 2002. ص، 175.

³ أحمد بوكابوس. إنحراف الأحداث و الإدماج الاجتماعي لهم: دراسة ميدانية بمركز إعادة التربية بئر خادم 2. معهد علم الاجتماع. جامعة الجزائر. 1987.

ص، 23، 24.

* القيم هي ما يعتقد البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة، و هي أيضا لها تأثيرها على أفعالهم. أيان كريب. النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هابرماس.

ترجمة: محمد حسين غلوم. سلسلة عالم المعرفة. شهرية. العدد 244. الكويت. 1999. ص، 67.

ب-المعايير: تشير إلى القواعد المحددة لأنماط السلوك المتعارف عليها و المتوقعة في موقف اجتماعي معين، بمعنى أنها تضبط وسائل الوصول إلى الأهداف و من خلالها ترتب الطرق الموصلة إلى الأهداف حسب قيمتها الاجتماعية إن كانت طرقا مقبولة أو مرفوضة.

و الأصل في العلاقة بين هذين العنصرين-الأهداف و المعايير-هي أن يقوموا بوظائفهما في تناسق كامل ليتم تحديد السلوكات الاجتماعية الأكثر شيوعا، لكن الملاحظ أن هذه العلاقة ليست ثابتة و لا متوازنة إذ يحدث التأكيد أحيانا على الأهداف مع تساهل في المعايير¹ و نكون هنا أمام مجتمع يعاني من خلل في النظام الاجتماعي، فعندما يضع المجتمع أهدافا محددة، و لا يضع الوسائل المشروعة و التي تسهل للأفراد عملية الوصول إليها فإن هؤلاء سيلجؤون حتما إلى وسائل غير مشروعة كالانحراف. و هنا تظهر حالة المجتمعات التي أعطت للنقود قيمة اجتماعية، و وضعت الغنى كهدف في حد ذاته، و أوضح مثال عنها هو: المجتمع الأمريكي الذي يقوم على تقديس الثراء و النجاح المادي، و بالمقابل لا يعمل على أن يوفر لكل فرد الوسائل الشرعية التي تمكنه من تحقيق هذه الأهداف، لذا يلجأ البعض منهم إلى الوسائل غير المشروعة لتحقيقها.

و يتضح من هذا التحليل أن السلوك المنحرف إنما هو ناتج عن البنية الاجتماعية كرد فعل حتمي للضغوطات و التحديات التي تفرضها، من خلال رفع مستوى الطموح لدى أفراد المجتمع إلى درجة تتجاوز الوسائل التي تمكنهم من تحقيقها فتدفعهم بالتالي إلى سلوكات منحرفة، مما يؤكد خلل و تناقضات تلك البيئة الاجتماعية و مسؤوليتها عن الانحراف.

انطلاقا من العرض السابق نصل إلى أن **ميرتون** قد ركز على عنصرين هامين هما: الأهداف المنتظمة و الوسائل المؤكدة للوصول إلى تلك الأهداف، كما أكد على التكامل الذي يتحدد عنده من خلال العلاقة القائمة بين أجزاء النسق. وهو بذلك يقدم إطارا تحليليا بنائيا وظيفيا، ينطلق من تلك العلاقة القائمة بين الأهداف المنتظمة و الوسائل الموصلة إليها. تأسيسا على أن تكامل النسق إنما يتحقق عندما نحصل على علاقة وظيفية بين تلك العناصر البنائية، و بذلك فإنه في حال اكتشاف الأفراد لعجز الوسائل المؤكدة في تحقيق النجاح لهم في الوصول إلى الأهداف المنتظمة، فإنهم يلجأون إلى طرق أخرى منحرفة. و هنا تكمن حالة عدم التكامل بين العناصر البنائية، حيث يتم اختراق القيم و المعايير التي يؤكد عليها المجتمع فيحدث الإنحراف.

¹ مصطفى حجازي. الأحداث الجانحون: تأهيل الطفولة غير المتكيفة. دار الفكر اللبناني. بيروت. 1995. ص، 87.

سادسا: الدراسات السابقة:

لا شك في أن لعملية استعراض الدراسات السابقة أهمية بارزة في البحث، إذ تساهم في توضيح أبعاد المشكلة و تبيان موقع البحث المقترح بين الجهود السابقة مع تنبيه الباحث إلى المصادر التي لم يتمكن من العثور عليها، و معرفة طبيعة المادة الموجودة، و هكذا يتمكن الباحث من تحديد الإطار النظري الذي يبني في إطاره دراسته و الخلفية التي يناقش في ضوءها نتائجها¹.

1- الدراسات الأجنبية:

1.1- دراسة سيريل بيرت: "Cyril Burt" 1938

لقد قام سيريل بيرت بدراسة كان هدفها الكشف عن تأثير العوز و الحرمان (الفقر) على سلوك الأحداث في مدينة لندن، و استخدم لذلك عينتين: عينة منحرفة و أخرى سوية، و ذلك بمقارنة النتائج و عزل الأسباب المؤدية إلى الانحراف لدى الأحداث. و قد عرض نتائج بحثه في خمسة جداول تم اختزالها في جدول واحد كما يلي:

جدول رقم (1) يمثل نتائج دراسة "سيريل بيرت" عن عوامل البيئة الداخلية و الانحراف:

الأسوياء		المنحرفون				الأحداث عوامل الانحراف
إناث	ذكور	إناث		ذكور		
		عامل.م	عامل.ر	عامل.م	عامل.ر	
76.0	80.5	82.4	-	84.6	3.2	الفقر و توابعه
11.0	12.0	51.7	8.2	82.9	8.9	التنظيم المعيب داخل المنزل
23.5	26.5	65.6	11.0	47.1	6.2	العلاقات العائلية المنهارة
9.5	12.0	85.3	2.7	58.4	-	الغيبية الطويلة
9.5	10.0	66.3	7.0	37.4	1.6	الانهيار الخلقي في المنزل

المصدر: نوار الطيب. ظاهرة انحراف الأحداث: أسسها و طرائق علاجها. رسالة لنيل شهادة الماجستير. معهد علم الاجتماع. جامعة عنابة. الجزائر. 1990. ص، 68.

¹ فضيل دليو و آخرون. أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية. منشورات جامعة منتوري قسنطينة 1999. ص، 104، 105.

و يبدو من خلال هذه النتائج أن العوامل البيئية الداخلية المعروضة هي عوامل مساعدة أكثر منها عوامل رئيسية أو مسببة للانحراف. و هو ما تظهره النسب الموجودة في الجدول و على أساسها يمكن ترتيب العوامل حسب أهمية النتائج على الشكل التالي:

- الفقر و توابعه بنسبة 85.1 %.
- التنظيم المعيب داخل المنزل بنسبة 75.85 %.
- الغيبة الطويلة بنسبة 73.2 %.
- العلاقات العائلية المنهارة بنسبة 64.95 %.
- الانهيار الخلفي في المنزل بنسبة 56.15 %.

و من هذا العرض يتضح أن عامل الفقر (و توابعه) هو العامل الأهم في انحراف الأحداث و يقصد ببيت بتوابع الفقر هنا، الفقر المدقع، الفقر، الاكتظاظ و انعدام وسائل الترفيه¹، و يرى سيريل بيرت في كتابه: **المنحرف الصغير**، أن 19% من الأحداث المنحرفين في مدينة لندن قد انحدروا من بيوت فقيرة جداً، و هي لا تمثل أكثر من 8% من سكان العاصمة البريطانية، و أن 37% قد انحدروا من الطبقتين التاليتين اللتين تمثلان الفقراء المتوسطين رغم أن هاتين الطبقتين لا تشكلان إلا 22% من سكان المدينة، و يشير "بيرت" إلى ملاحظة هامة هنا، و هي أن أكثر المنحرفين المنتمين إلى الطبقات الممتازة يتمكنون بطريقة أو بأخرى من تجنب الإجراءات الرسمية التي تتخذ بشأن المنحرفين²، و منه ف بيرت، قد توصل إلى أن الفقر و توابعه هي عوامل مساعدة أكثر منها عوامل رئيسية و مسببة للانحراف لدى الأحداث. أي قد يتداخل هو و غيره من العوامل ليوصلوا إلى الانحراف. كما وجه بيرت الاهتمام إلى جانب مهم من هذا الموضوع و هو السبب الذي كثيراً ما يعزى به الانحراف للفقراء، حيث وضح أن هناك أسباباً تعمل على تقليل أعداد المنحرفين لدى الطبقات الغنية، و التي تملك من الإمكانيات ما قد يمكنها في كثير من الحالات من تجنب الضبط أو إجراءات الملاحقة. و قد ساهمت بذلك هذه الدراسة في توجيه بحثنا إلى الحذر في التعامل مع الإحصائيات الرسمية كونها قد لا تعبر بمصدقية عن واقع الانحراف و حقيقته.

¹ نوار الطيب -مرجع سابق- ص، 69.

² منير العصرة. انحراف الأحداث و مشكلة العوامل. المكتب الصري الحديث للطباعة و النشر. الإسكندرية. 1974. ص، 148.

2.1- دراسة ماري كاربنتر "Mary Carpenter"¹

ترى ماري كاربنتر في كتابها الأحداث المنحرفون أن المنحرفين ينقسمون إلى خمس مجموعات هي:

أ- الأحداث المذنبون: وهم الذين يتميزون بالجسارة و الجرأة، و لا يقيمون وزنا للقانون و لا للإنسانية، و يرجع انحرافهم في الغالب إلى طفولتهم المضطربة.

ب- الأحداث الخطرون: وهم الذين تربوا في أحضان الجريمة و دفعهم إليها آبائهم و المجرمون المحترفون، كعصابات النشل أو عصابات إفساد الأخلاق.

ج- الأحداث الذين لم تكن لهم ميول إجرامية: و لكنهم اقتيدوا تدريجيا نحو الانحراف بسبب الإهمال الأسري، و غياب الوازع الديني و التأثير الأدبي داخل المنزل.

د- الأحداث الذين قادهم الفقر و العوز فعلا إلى الانحراف: و لم تكن قوانين مساعدة الفقراء كافية لسد حاجاتهم الاقتصادية، بسبب قلة المساعدات أو عدم تبني السلطات لمشاكلهم و محاولة حلها.

و- الأحداث الذين يعيشون و هم و ذويهم في فقر مدقع: و مع ذلك فإن لهم موارد مشروعة للمعيشة، و لو أنها قليلة جدا.

و قد انتهت "كاربنتر" من عرض هذه المجموعة معلقة عليها بأنه و إن كان يبدو أن الفقر و العوز هما العاملان الرئيسيان للانحراف لدى الأحداث، إلا أن الحقائق المدروسة بعناية تؤدي إلى نتيجة جد مختلفة.

3.1- دراسة وليام هيلي Willam Hilly :

في دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1914 توصل إلى أن 5% فقط من الحالات التي قام بدراستها كان الفقر هو السبب البارز للانحراف لديها².

و في دراسة أخرى له مع زميله الدكتور "برونر" "Brooner" ، قسمت الطبقات التي ينتمي إليها الأحداث موضوع الدراسة و قد كان عددهم 675 حدثا، إلى خمس طبقات، فكانت النسبة المئوية للانحراف في كل طبقة منها على الوجه التالي³:

¹ المرجع السابق. ص، 148.

² ابن الشيخ بخي. التفكك الأسري و أثره في انحراف الأحداث. بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علم النفس. معهد علم النفس. جامعة الجزائر. 1990. ص، 28.

³ منير العصرة-مرجع سابق-ص، 149.

أ.	العوز	Destination	5 %
ب.	الفقر	Poverty	22 %
ج.	المستوى العادي	Normal	35 %
د.	البحبوحة	Comform	34 %
و.	الرفاهية	Luxury	4 %

و يتضح من خلال نتائج هذه الدراسة أن 27 % فقط، كانوا من أسر فقيرة أو معوزة، أي أن هناك أسباب أخرى قد تساهم في الانحراف و لو أن المستوى العادي لأسر الأحداث المنحرفين و الذي يمثل 35 % لا يعني أن جميع حاجات الأحداث داخلها يتم إشباعها.

2- الدراسات العربية:

1.2- دراسة المكتب الاجتماعي المصري: (1954-1957):

و قد أجريت على عينات مختلفة من المنحرفين و من مختلف الطبقات و الأماكن، و قام المكتب بنشرها على شكل تقارير، و مما ورد فيها ما يلي:

- يلاحظ أن معظم أسر الأحداث المنحرفين تقطن أحياء شعبية مزدحمة بالسكان و أغلب هذه الأحياء، هي بيئات فقيرة تتخللها بؤر و أوكار للفساد، كما أن أغلب مساكنها لا تصلح للسكن بأي حال من الأحوال بسبب عدم توافر الشروط الصحية فيها، و قد دل الإحصاء على أن 14% فقط من الحالات تعيش في مساكن صحية.

- تدل البحوث الاجتماعية أيضا على أن مساكن أكثر من نصف الحالات تحتوي على أثاث قذر و رديء.

- كما دلت النتائج على أن 60% من الأسر تتكون من خمسة أفراد، و تزيد هذه النسبة إذا أعيد حسابها، بعد استبعاد عدد من الأسر التي لا يعلم المكتب عنها شيئا.

- إن حوالي 87 % من أسر المنحرفين هم من الفقراء أو ذوي الدخل الذي يضطرهم إلى السكن في منازل مزدحمة، ضيقة، غير صالحة و يتضح هذا من خلال كون:

- 4 % من آباء المنحرفين متعطلين.

- 33 % من آباء المنحرفين مسجونين أو لا يعلم عنهم شيئا لأنهم

غالبا ما يكونون قد تخلوا عن أسرهم هربا من مطالب الأسرة الاقتصادية المتزايدة

14 % من الآباء يمتهنون مهنا بسيطة و ضعيفة الدخل (باعة،

متجولون، بوابون حاملون، عامل في مقهى...) ¹.

و قد أوضحت هذه الدراسة الآثار المترتبة عن الفقر أي تبعاته كالسكن غير الملائم و ضعف الدخل و عجزه في توفير مختلف المطالب... الخ، معتبرة إياه المسبب الرئيسي للانحراف لدى أفراد العينة المدروسة.

2.2- دراسة الدكتور منير العصرة في كتابه انحراف الأحداث و مشكلة العوامل عام 1974²:

و قد تناول في هذه الدراسة مختلف العوامل المرتبطة بانحراف الأحداث و من بينها عامل الفقر و قد توصل إلى النتائج التالية:

أ- أن الفقر في ذاته ليس سببا للانحراف، بل أنه قد يكون حافزا على الكد و الكفاح و الشرف.

ب- إن عدم إشباع الرغبات و الشعور بالمرارة و خيبة الأمل و سائر الصور و المماثلة من عدم الاطمئنان الاجتماعي التي يستشعرها الحدث، و التي تتبع أساسا من الفقر، لا يمكن تجاهلها كعامل من عوامل الانحراف.

ج- أن الغيرة و الطموح و الرغبة في حياة أفضل شأنها تماما شأن الجوع و العرى في خلق الانحراف، بل يحصل في كثير من الأحيان أن لا يكون الانحراف منشأة الحاجة إلى القوات أو الكساء الضروري، و إنما تلعب الرغبة في إشباع الحاجات الكمالية الدور الأكبر في هذا الشأن.

د- أن الرعاية الصحية و التوجيه السليم يحد من وطأة الفقر، و يحولان بينه و بين وقوع الحدث في هوة الانحراف.

3- الدراسات الجزائرية:

¹ ابن الشيخ بختي-مرجع سابق- ص، ص. 33، 34.

² منير العصرة-مرجع سابق- ص، 151.

تجدر الإشارة إلى أننا لم نعثر على دراسات تناولت مشكلة بحثنا هذا بالتحديد، وإن ما تم الحصول عليه كان دراسات تناولت في إحدى جزئياتها المشكلة أو جانباً من جوانبها.

1.3- دراسة الأستاذ علي بوغناقة¹ :

و هي بعنوان "الأحياء غير المخططة و انعكاساتها النفسية و الاجتماعية على الشباب"، و كانت عبارة عن دراسة ميدانية مقارنة بين مجموعة من الأحياء غير المخططة و حي مخطط، حيث تم اختيار عينة البحث من 6 أحياء غير مخططة تتكون من 150 شاباً و حي مخطط بمدينة قسنطينة تكونت هي الأخرى من 150 شاباً و قد انطلق في بحثه هذا من تساؤل رئيس هو: كيف تساهم الأحياء غير المخططة في إعداد الاستعداد للانحراف؟، مستخرجا منه ثلاث فرضيات فرعية هي:

- 1- يمكن أن يخلق الاحتقان السكني بالأحياء غير المخططة توتراً نفسياً لدى الشباب.
- 2- كما يمكن أن تدفع الظروف الاقتصادية للأسرة داخل الأحياء غير المخططة الشباب إلى العمل الطفيلي الذي يشجع على الانحراف.
- 3- قد تهيئ الأوضاع الاجتماعية للأسرة المضطربة داخل هذه الأحياء سبب الانحراف.

و قد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي و المقارن في دراسته هذه و من بين أهم النتائج التي توصل إليها و التي أثبتت صدق الفرضيات التي انطلق منها نجد:

- أن السكن في تلك الأحياء - غير المخططة - يشكل مركباً من الأسباب التي تؤدي إلى طريق الانحراف. انطلاقاً من أن السكن والاحتكاك مع الآخرين هما اللذان يولدان المشاجرات و التوترات.
- كما توصل من خلال المقارنة بين عينتي الأحياء المخططة و غير المخططة إلى أن مجرد السكن في حي قصديري ليس السبب لإمكانية الانحراف و الأصح أن عدم الحصول على عمل و عدم وجود مرافق ترفيهية و ترفيهية للشباب تعد أسباباً تضاف إلى السكن و الاحتقار و المشاجرات المترتبة عليه.

¹ علي بوغناقة الأحياء غير المخططة و انعكاساتها النفسية و الاجتماعية على الشباب. دراسة ميدانية مقارنة. ديولن المطبوعات الجامعية الجزائر. 1987.

- المتسربين من المدرسة في هذه الأحياء . غير المخططة يجدون أنفسهم مرغمين على ممارسة نشاطات تعتبر هامشية في أغلب الأحيان كبيع المأكولات و بيع السلع المستوردة، مما يشجعهم على ارتكاب أفعال منحرفة مادامت تدر عليهم الربح.

لقد ألفت هذه الدراسة كثيرا من الضوء على أحد جوانب بحثنا هذا المتعلق بعلاقة السكن غير الملائم (في أحياء غير مخططة) بالانحراف، و نستنتج من هذه الدراسة أن السكن في مثل هذه الأحياء لا يعني بالضرورة الانحراف و إنما إذا اشترك مع عوامل أخرى كغياب التمدرس و كثرة وقت الفراغ و غياب الوسائل الترفيهية و أيضا عدم توفر عمل.

2.3- دراسة الدكتور: علي مانع¹

و هي عبارة عن دراسة ميدانية حول عوامل جنوح الأحداث في الجزائر. و قد تأسست هذه الدراسة على مقابلة مجموعتين تمثلان الأحداث-الأولاد-الجانحين و غير الجانحين الذين هم في ما بين سن 12 و 18 سنة، و كان الهدف من مقارنة المجموعتين هو إلقاء الضوء على العوامل الرئيسية المرتبطة بالتغير الاجتماعي و التي أدت بالجانحين إلى ارتكاب جرائم في المناطق الحضرية و الريفية. و قد حدد حجم العينة بـ200 ولدا، (100 لكل مجموعة)، و قد وجد الباحث بأن هناك عشرة عوامل رئيسية مرتبطة بالجنوح في الجزائر المعاصرة، و هذه العوامل هي قسمين:

أ- عوامل تعكس المشاكل العائلية: و هي:

- الفقر.
- شروط سكنية سيئة (مثل نقص التاثير و الوسائل الصحية الأخرى).
- سلوك أبوي سيئ منعكس في نقص التفاهم العائلي، نقص الرعاية الأبوية، الطرق التأديبية غير الملائمة و مشاكل أخرى مرتبطة بنسبة الأمية المرتفعة على مستوى الآباء.
- الصراع الثقافي بين الأحداث الجانحين و آبائهم.

ب- عوامل تعكس المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية خارج البيت:

- الطرد من المدرسة في سن مبكرة و بالتالي تحصيل مدرسي ضعيف.

¹ علي مانع.عوامل جنوح الأحداث في الجزائر: نتائج دراسة ميدانية. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1996.

- البطالة و نقص الشغل السليم.
- عدم توفر نشاط ترفيهي سليم، حيث كان ترفيه الأحداث يتمركز في المقاهي و التجول في الشوارع.
- الاختلاط الجانح و المتمثل في السكن في منطقة إجرامية و الاختلاط مع أصدقاء، جيران و أقارب جانحين.
- تعلم و تبني عادات اجتماعية غير محبوبة (مثل التدخين، شرب الخمر، القمار).
- تدني مستوى التدين.

و على أساس هذه العوامل يمكن التفريق بين الجانحين و غير الجانحين و قد قام الباحث بتحديد كيفية عمل هذه العوامل و كيف تؤدي بالحدث إلى الانحراف و بخصوص الفقر الذي بدأ به كأهم عنصر أو عامل من عوامل الإنحراف، فقد اعتمد في قياسه على أساس المستوى الاقتصادي للأسرة من خلال نوع عمل الآباء، ظروف العيش و العلاقة العامة بين الدخل و عدد أفراد العائلة، و قد وجد أن 41% من المنحرفين ينتمون إلى عائلات فقيرة أو جد فقيرة مقارنة بـ 10% فقط من غير المنحرفين موضحا كيف أن الفقر يؤثر في كل مظاهر الحياة العائلية بما فيها السكن التربوية الصحية و الاستقرار العائلي، و كل هذه العوامل إضافة إلى نتائج أخرى للفقر لها تأثير كبير على نمو الطفل و سلوكه و موقفه من المجتمع كزيادة الآمال و الطموحات، نقص ملكية الأجهزة كالتلفزة و الثلاجة والمذياع و المسجلة، الحاجة و نقص الخدمات الاجتماعية الأخرى... الخ.

ج. دراسة نوار الطيب: (1987-1988)¹

و هي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، و قد جاءت بعنوان: **ظاهرة انحراف الأحداث: و أسسها و طرائق علاجها** و قد تمت بمركز إعادة التربية بالحجار بولاية عنابة، و قد انطلق الباحث من فرضيتين رئيسيتين تضم كل واحدة منهما فرضيتين فرعيتين :

الفرضية الرئيسية الأولى : إذا كانت التفاعلات لا تتوافق مع الحاجات لدى الحدث، و الظروف الأسرية و الاجتماعية التي ينشأ فيها، ينحرف الحدث.

¹ نوار الطيب-مرجع سابق-

- **الفرضية الفرعية الأولى** : تزيد نسبة الأحداث المنحرفين في الأسر التي تضطرب فيها العلاقات الإجتماعية.

- **الفرضية الفرعية الثانية** : إذا حرم الحدث من إشباع حاجاته الأساسية أو الإقتصادية، يكون معرضاً لإقتراف أفعال منحرفة.

الفرضية الرئيسية الثانية : تكون معالجة الحدث المنحرف في مركز إعادة تربية الأحداث في الحجار، تربية متطابقة مع الأسس التي ارتكز عليها إنحرافه.

- **الفرضية الفرعية الأولى** : الأساليب المستخدمة في مركز إعادة التربية في الحجار ذات تأثير في تقويم سلوك المنحرفين في المركز.

- **الفرضية الفرعية الثانية** : يمكن تحسين فعالية مركز إعادة التربية في الحجار بواسطة استخدام أفضل الإمكانيات المادية المتوفرة فيه.

و قد ضمت جميع النزلاء بذلك المركز، و كان عددهم 43 حدثاً و كان من بين النتائج التي توصل إليها* :

• أن 65.11% من أسر الأحداث المنحرفين تنتمي إلى الطبقة الوسطى التي تميل إلى الفقر. حيث يعمل أرباب هذه الأسر في مهن بسيطة ذات دخل محدود، مما لا يمكنهم من تلبية حاجات الأحداث الضرورية و لا الكمالية مما يجعلهم -الأحداث- يلجؤون إلى طرق غير مشروعة لإشباعها.

• ينتمي ثلاثة أرباع (4/3) من أفراد العينة تقريباً إلى أسر ذات حجم كبير مما حال دون تمتعهم بغرفة خاصة أو سرير خاص أو حتى مكان خاص لحفظ أشيائهم فيه، مما جعل الكثير منهم يبحثون عن أماكن أخرى يهربون إليها و قد يتشردون.

• إن الوضع المدرسي لـ 62.79% من أفراد العينة المدروسة، لا يتعدى مستواهم التعليمي المستوى الابتدائي في حين كان يجب أن يكون مستواهم التعليمي في الطور المتوسط أو الثانوي مما يجعلهم ينقطعون عن الدراسة.

• ما يقرب من نصف أفراد العينة 41.88% أعاد آباؤهم الزواج، و طلقت أمهاتهم بنسبة 25.58% و هذا ما جعل الكثير من الأحداث يعيشون مع أحد والديهم أو

* و قد عرضها الباحث في جدول و قد حاولنا تناولها باختصار و على شكل نقاط نظراً لطول الجدول و عدم ملاءمة عرضه في هذا الحيز من البحث.

- مع أحد أقاربهم أو مع شخص آخر .
و أن 41.86% من أفراد العينة يلقون معاملة سيئة و قاسية من الأب، مما أدى في الكثير من الأحيان إلى هروبهم و تعمد دخولهم المركز .

لقد أوضحت هذه الدراسة أن الظروف الأسرية و الاجتماعية و الاقتصادية التي ينشأ فيها الحدث لا تتوافق و حاجاته إلى حد كبير خصوصا، في سن المراهقة أيضا حيث تظهر لدى الأحداث حاجات و دوافع متميزة، تزداد باستمرار -إضافة إلى الأشياء المادية -كحب الاستقلالية و الاعتماد على النفس، و الميل إلى معاشررة الأصدقاء و حب الإطلاع... الخ و يؤدي حرمانهم من إشباع تلك الحاجات و الرغبات إلى القيام بتصرفات تتسم بالشذوذ و الانحراف، و قد استكملت هذه الدراسة الجانب العلاجي للظاهرة إضافة إلى دراسة عواملها، في حين تهتم دراستنا هذه بالجانب المتعلق بالفقر كظرف مهياً للانحراف.

خلاصة نتائج الدراسات السابقة:

بعد استعراض أهم ما جاء في بعض الدراسات التي تناولت الموضوع يتضح بأن تركيزها الأكبر كان حول موضوع الانحراف و العوامل المؤدية إليه حيث أنها لم تتناول الفقر كعامل في الانحراف - باستثناء دراسة سيريل بيرت- و إنما تناولت عوامل عديدة كان الفقر واحدا من بينها، و على العموم يمكن القول بان الدور الذي يلعبه الفقر في انحراف الأحداث حسب مختلف تلك الدراسات إنما يتمثل في تأثيره على مختلف جوانب الحياة التي لها ارتباط كبير بالأحداث، و يمكن ذكرها في النقاط التالية:

- الفقر عامل مساعد على الانحراف و الأغنياء كثيرا ما يتمكنون من تجنب الإجراءات الرسمية المتخذة بشأن المنحرفين.
- إن معظم أسر الأحداث المنحرفين تقطن أحياء شعبية مزدحمة بالسكان وأغلب هذه الأحياء هي بيئات فقيرة تتخللها بؤر و أوكار الفساد.
- إن أغلب مساكن تلك الأسر لا تصلح للسكن بأية حال من الأحوال لعدم توفر الشروط الصحية فيها.
- الاحتقان السكني داخل أسر الأحداث المنحرفين.
- نقص ملكية الأجهزة كالتلفزة و الثلاجة و المسجلة و نقص الخدمات الاجتماعية الأخرى.
- الانحراف أو اللامبالاة لدى الكثير من أولياء الأحداث المنحرفين.
- إن ما ينتج عن الفقر من عدم إشباع الرغبات و الشعور بالمرارة و خيبة الأمل وعدم الاطمئنان الاجتماعي التي يستشعرها الحدث لا يمكن تجاهلها كعامل من عوامل الانحراف مثلها مثل الغيرة والطموح والرغبة في حياة أفضل و كلها تعكس عدم الرضا عن الوضع المعيش.
- غياب الرعاية الصحية والتوجيه السليم يزيدان من حدة الفقر ولا يحولان دون وقوع الحدث فريسة الانحراف.
- يؤثر الفقر على كل مظاهر الحياة العائلية بما فيها: السكن، التربية الصحية، والاستقرار العائلي، كما أن له تأثير كبير على نمو سلوك الطفل وموقفه من

المجتمع.